

## التحرير والتنوير

و ( هيهات ) كلمة مبنية على فتح الآخر وعلى كسره أيضا . وقرأها الجمهور بالفتح وقرأها أبو جعفر بالكسر . وتدل على البعد . وأكثر ما تستعمل مكررة مرتين كما في هذه الآية أو ثلاثا كما جاء في شعر لحميد الأرقط وجرير يأتیان .

واختلف فيها أهى فعل أم اسم ؛ فجمهور النحاة ذهبوا إلى أن ( هيهات ) اسم فعل للماضي من البعد فمعنى هيهات كذا : بعد . فيكون ما يلي ( هيهات ) فاعلا . وقيل هي اسم للبعد أي فهي مصدر جامد وهو الذي اختاره الزجاج في تفسيره . قال الراغب : قالب البعص : غلط الزجاج في تفسيره واستهواه اللام في قوله تعالى ( هيهات هيهات لما توعدون ) . وقبل : هيهات طرف غير متصرف وهو قول المبرد . ونسبه في لسان العرب إلى أبي علي الفارسي . قال : قال ابن جنبي : كان أبو علي يقول في هيهات : أنا أفتى مرة بكونها اسما سمي به الفعل مثل صه ومه وأفتى مرة بكونها طرفا على قدر ما يحضرنى في الحال . وفيها لغات كثيرة وأفصحها أنها بهاءين وتاء مفتوحة فتحة بناء وأن تاءها تثبت في الوقف وقيل بوقف عليها هاء وأنها لا تنون تنوين تنكير .

وقد ورد ما بعد ( هيهات ) مجرورا باللام كما في هذه الآية وورود مرفوعا كما في قول جرير . . :

فهيئات هيهات العقيق وأهله ... وهيئات خل بالعقيق نحاوله وورد مجرورا ب ( من ) في قول حميد الأرقط : .

هيهات من مصبها هيهات ... هيهات حجر من صنيبعات فالذي يتضح في استعمال ( هيهات ) أن الأصل فيما بعدها أن يكون مرفوعا على تأويل ( هيهات ) بمعنى فعل ماض من البعد كما في بيت جرير .

وأن الأفصح أن يكون ما بعدها مجرورا باللام فيكون على الاستغناء عن فاعل اسم الفعل للعلم به مما يسبق ( هيهات ) من الكلام لأنها لا تقع غالبا إلا بعد كلام وتجعل اللام للتبيين أي إيضاح المراد من الفاعل فيحصل بذلك إجمال ثم تفصيل يفيد تقوية الخبر . وهذه اللام ترجع إلى لام التعليل . وإذا ورد ما بعدها مجرورا ب ( من ) ف ( من ) بمعنى ( عن ) أي بعد عنه أو بعدا عنه .

على أنه يجوز أن تؤول ( هيهات ) مرة بالفعل وهو الغالب ومرة بالمصدر فتكون اسم مصدر مبنيا جامدا غير مشتق . ويكون الإخبار بها كالإخبار بالمصدر وهو الوجه الذي سلكه الزجاج في تفسير هذه الآية ويشير كلام الزمخشري إلى اختياره .

وجاء هنا فعل ( توعدون ) من ( أوعد ) وجاء قبله فعل ( أيعدكم ) وهو من ( وعد ) مع أن الموعود به شيء واحد . قال الشيخ ابن عرفة : لأن الأول راجع إليهم في حال وجودهم فجعل وعدا والثاني راجع إلى حالتهم بعد الموت والانعدام فناسب التعبير عنه بالوعد اه . وأقول : أحسن من هذا أنه عبر مرة بالوعد ومرة بالوعد على وجه الاحتباك فإن إعلامهم بالبعث مشتمل على وعد بالخير إن صدقوا وعلى وعيد إن كذبوا فذكر الفعلان على التوزيع إجازا .

وقوله ( إن هي إلا حياتنا الدنيا ) يجوز أن يكون بيانا للاستبعاد الذي في قوله ( هيهات لما توعدون ) واستدللا وتعليلا له ولكلا الوجهين كانت الجملة مفصولة عن التي قبلها . وضمير ( هي ) عائد إلى ما لم يسبق في الكلام بل عائد على مذكور بعده قصدا للإبهام ثم التفصيل ليتمكن المعنى في ذهن السامع . وهذا من مواضع عود الضمير على ما بعده إذا كان ما بعده بيانا له ولذلك يجعل الاسم الذي بعد الضمير عطف بيان . ومنه قول الشاعر أنشدته في الكشاف المصراع الأول وأثبته الطيبي كاملا : .

هي النفس ما حملتها تتحمل ... وللدهر أيام تجور وتعدل قول أبي العلاء : .  
هو الهجر حتى ما يلم خيال ... وبعض صدود الزائرين وصال ومبين الضمير هنا قوله ( إلا حياتنا ) فيكون الاسم الذي بعد ( إلا ) عطف بيان من الضمير . والتقدير : إن حياتنا إلا حياتنا الدنيا . ووصفها بالدنيا وصف زائد على البيان فلا يقدر مثله في المبين . وليس هذا الضمير ضمير القصة والشأن لعدم صلاحية المقام له . ولأنه في الآية مفسر بالمفرد لا بالجملة وكذلك في بيت أبي العلاء .

ولأن دخول ( لا ) النافية يأبى من جعله ضمير شأن إذ لا معنى لأن يقال : لا قصة إلا حياتنا فدخلت عليه ( لا ) النافية للجنس لأنه في معنى اسم جنس لتبيينه باسم الجنس وهو ( حياتنا ) فالمعنى : ليست الحياة إلا حياتنا هذه أي لا حياة بعدها .  
والدنيا : مؤنث الأدنى أي القريبة بمعنى الحاضرة .